التطلعات الوطنية والدولية لمغرب الاستقلال وشبابه
محاضرة ألقاها صاحب السمو الملكي
الأمير مولاي الحسن

كما تعلمون ألقيت محاضرة منذ يومين في مدينة الدار البيضاء في ثانوية مولاي الحسن وتحدثت مع الطلبة الحاضرين وقلت لهم بأني لم آت إلى هنا بصفتي أستاذاً، أو مرشداً، أو فيلسوفا لألقنهم أشياء لا يعرفونها أو أشرح لهم أشياء استعصت عليهم.

وقد اسعدني الحظ كوني لازلت قريبا من عهد الدراسة. ولا زلت أتذكر الوقت الذي كنت فيه تلميذاً. حيث انني منذ صغري غامرت في الأمور السياسية، وامكنني بفضل والدي نصره الله أن أشارك في مسؤوليات الحكم، فلهذا قلت لهم بأنه يمكن لي أن أوجه لهم نصائح بكيفية عامة. وقلت لهم إن النصيحة التي أوجهها لهم هي التمعن في تطور العالم عبر القرون والأحقاب.

لقد كان تسيير شؤون الأمة ومسؤولية الحكم، ومسؤولية النقض ومسؤولية الإبرام، موقوفة على طائفة دون طائفة. أو على أشخاص دون أشخاص. وكان يتم اختيار هؤلاء الأشخاص في بادىء الأمر إما لقوتهم البدنية، أو لقوتهم العسكرية، أو لقوتهم الفكرية، ولكن كيفما كان الحال كانت تلك المسؤولية في نطاق ضيق. وقلت لهم اذا اردنا أن نلقي نظرة على كيفية تسلسل التاريخ ومراحل التاريخ نلاحظ منذ بضع سنين ان المسؤولية العامة لم تبق محصورة في طائفة دون أخرى، ولا جماعة دون جماعة بل اصبحت اليوم تهم جميع الطبقات التي تشارك في مجتمع منظم.

ما هو المجتمع المنظم ؟

المجتمع المنظم له مقاييس ثلاثة قانونية :



الأول : مقياس القانون الدستوري

ثانيا : مقياس القانون الدولي

ثالثا : قانون المقياس الاداري

فإذا سألنا أستاذاً في القانون الدستوري عن ما هي الدولة، أو ما هو المجتمع المنظم يجيب بأن المجتمع المنظم والدولة المنظمة هي دولة لها دستور، ودواليب حكومية. وإذا سألنا استاذ القانون الدولي يجيب بأن الدولة هي عبارة عن طائفة من جماعات مختلفة الأنواع. وفي بعض المرات مختلفة حتى في اللغات، قررت الانضمام بعضها إلى بعض. وتعيش في حدود، ولها جنسية، ولها علم، ولها شخصية دولية اكدتها، إما باتفاقيات دولية، وإما بحرب مع دولة أخرى فغلبتها وفرضت عليها ارادتها، ورغبتها. وتلك الرغبة وتلك الارادة المفروضة كانت في الحقيقة دليل ازدياد تلك الدولة كدولة في القانون الدولي وإذا سألنا أستاذاً في القانون الدولي يجيب بأنها الدولة التي لها دواليب إدارية ذات مصلحة عمومية تسيرها الدولة. فيها مصلحة البريد والصحة. والأشغال العمومية، وكل ما يهم الوزارات.

ونرجع إلى موضوعنا الأول فنقول اذا نظرنا منذ تطور العالم إلى أن الشخص لم تعد دواليب الحكم متوقفة على شخص دون آخر أو طائفة دون أخرى، وفي دولة منظمة ومجتمع منظم نرى أن ذلك اتسع ليشمل جميع المواطنين الذين يعيشون في المجتمع المنظم. وهو الدولة. ولكن ماهي مقاييسها من الناحية الدستورية : لها دستور ودواليب حكم.

من الناحية الدولية لها شخصية فرضتها. ولها حدود. ولها جنسية، ولها علم.. ومن الناحية الادارية دولة لها دواليب ادارية تسيرها على حسب قوانين ونماذج معروفة. فقلت لهم ولازلت أتذكر، انتم مقبلون على عهد ستهمكم فيه مسألة الدولة بصفة مباشرة وبصفة غير مباشرة. والجل فيكم ستهمه بصفة غير مباشرة.



ماهي تلك الكيفية ؟

هي عن طريق الانتخابات. وقلت لهم لا تنسوا أنه لن تمر سنة على المغرب حتى يجتاز هذا الامتحان، امتحان إزاء نفسه بخصوص اتجاهه السياسي وإزاء الخارج.

أولا : فيما يخص ذلك المقياس الذي به سيعرف نفسه هل نضج أو لم ينضج.

ثانيا : من الناحية الخارجية ستعرف الدول هل المغرب وصل إلى حد من التطور ومن الرقي يجعله يسير أموره بنفسه أم لا.

أما الديمقراطية فقد تحدثت عنها في فاس. وقدمت عدة تعاريف، وفي غالب الأمر لا يوجد منكم من لم يقرأ على الأقل جان جاك روسو أو على الأقل سمع به. بحيث تعلمون أن تعريف الديمقراطية عند جان جاك روسو، وعند بعض الكتاب الذي تبعوا نهجه في حكم الشعب لفائدة الشعب وما يتسلسل من هذا التعريف هو أساس ثاني للديمقراطية. وهو فصل السلط الفصل بين السلطة التنفيذية، والسلطة التشريعية، والسلطة القضائية. حتى لا يمكن للسلطة التنفيذية أن تقضي على السلطة القضائية لتحكم لكذا أو لتحكم ضد هذا.

واعتماد القوى التشريعية على كل من السلطة التنفيذية أو السلطة الديمقراطية اذا درسناها كدرس (وإن كان هذا ليس هو شأني الآن) يجب أن تكون مبنية على شيئين اثنين. الأساس الأول أن تكون لفائدة الشعب، والأساس الثاني أن تكون لها على الأقل ضمانات. حتى تستطيع تلك الديمقراطية أن تتمشى بكيفية معتدلة، وهو فصل السلط بعضها عن بعض.

قلنا إن الديمقراطية تختلف حسب النظم وحسب المجالات. وقلنا على أن بعض الأشخاص يعتقدون أن الديمقراطية هي أن «هو لك لي، وما هو لي لك. وأتيت اذذاك بمثال وهو مثال الفيلسوف الكبير أفلاطون. وهناك بعض الأشخاص يتصورون أن الديمقراطية هي أن يقودوا الناس بالرغم منهم إلى الجنة مقيدين بالسلاسل، وهو أساس الديكتاتورية.

والديكتاتورية على أي أساس تقوم ؟ تقوم أولا وبحسن نية على ديمقراطية صادقة. وتلك الديمقراطية تجعل أحد الأشخاص يعتقد أنه نبي، وأن له قدرة على تحقيق كل الأشياء ومنها السعادة البشرية وبحسن نية يؤدي بأولئك الناس الذين هم تحت مسؤوليته إلى السعادة البشرية ولكل ديمقراطية شكلها روبيسبير وسان جوست مثلا انبثقا من الشعب ومن الأفكار التحريرية، ولكن أنهيا حياتهما كديكتاتوريين .لأنهما أرادا فرض الديمقراطية، والديمقراطية المفروضة لم تبق ديمقراطية، بل صارت ديكتاتورية. بحيث الانتخابات والديمقراطية يمكن أن تتحقق هذه بدون الأخرى. يمكن تحقيق الديمقراطية بدون انتخابات ولكن يستحيل أن تتم انتخابات بدون ديمقراطية اللهم الا إذا كانت انتخابات مزورة أو كما يقول البعض إنها مزورة في بعض البلاد الشرقية. أي روسيا وما يجاورها، بحيث هذا استثناء كون انتخابات تتم بدون ديمقراطية ولكن في غالب الأحيان مهما تكن الديمقراطية فالانتخابات تعززها. والانتخابات التي ستجري في المغرب، لماذا نريد تحقيقها ؟

لأن جلالة الملك كان دائما وأبداً يهدف إلى الديمقراطية في البلاد. وعلى أساس الانتخابات.

هناك من يقول بأن المغرب لم ينضج بعد لتجري فيه انتخابات. واذا اردنا أن نقوم بها فلا يمكن أن نقتصر على انتخابات في بلدية فقط ولكن لابد من اجراء انتخابات عامة. بحيث يجب علينا أن ننتظر جلالة الملك يقول :

لنحقق الانتخابات البلدية والقروية حتى يمكن لجميع الجماعات المتساكنة في المغرب سواء تلك التي في المدن أو القرى حتى يمكنها أن تشارك في الحكم وأن تنتخب. وأن تنتقد، ويمكن لها أن تقترح، وفي بعض الظروف يكون لها حتى حق التقرير. فلهذا قرر وأمر وزير داخليته للتحضير للانتخابات.

إنني شخصيا مطمئن لهذه الانتخابات. لأنني أعرف المغاربة وما يمكن للمرء أن ينتظر منهم. بعض الأجانب الذين ليست لهم الثقة العمياء في المغاربة يبدون بعض التخوفات. اذ يقولون إن الديمقراطية تتطلب تعليما وتدريباً وقروناً.



ويأتون بأمثلة من انجلترا وفرنسا.

فرنسا يقولون من عام 1789 تقريبا ما يقرب من ثلاثة قرون وهي تتعلم الديمقراطية ولحد الآن لم تتقنها.

وفعلا فنحن نرى أنه اذا كانت الديمقراطية هي أنه كلما شكلت حكومة نغيرها في ظرف شهرين من الأحسن أن لا تكون ديمقراطية وبخصوص انجلترا (وهو مثال وحيد فريد في نوعه، لأن الانجليز لهم ما يزيد على ثمانية قرون في الديمقراطية) يقولون إن هذه الديمقراطية هي من جملة الأشياء التي يجب أن تكون جارية في الدم وفي عروق الانسان. يكون والده صوت وانتخب وجده كذلك بحيث يكون متعوداً على الانتخابات وشؤون الدولة الملك يقول لا. وحكومته أيضا.

لأنه لا يوجد مغربي اليوم لا يمكن وصفه بأنه غير مغربي. فهناك أحد الأمرين، إما سيكون مغربيا مخلصا، وإما غير مخلص لوطنه.

فالانتخابات ليست وسيلة لمعركة أو لاظهار قوة على قوة أو لعرض نظرية ضد نظرية أخرى، لأنها ستكون اذذاك غير ديمقراطية. ولكن الانتخابات هي بمثابة مدرسة للجميع. فالشباب الذين يجلسون أمامي الآن، أتساءل : لماذا لا يتحدثون ويناقشون شؤون الدولة. هل هناك فرق بين هذا المغربي وذاك مع أن العدالة الأساسية تقضي أن لكل مغربي الحق في ابداء رأيه بخصوص مصير بلاده على شرط أن يتحلى بالروح الوطنية ويسير على نهجها، ويقول :

سأنتخب أو أنتخب. فإذا انتخبت سأعرف من يمثلني، وإذا انتخبت يتعين علي على الأقل، قبل أن أتقدم للانتخابات أن أكون متوفراً على برنامج. وعليه أن لا ينتظر الساعة الأخيرة للتفكير في برامجه ومقترحاته.

لابد لكل مغربي يتوفر على السن القانوني أن يفكر في برنامج الانتخابات وفي الثورة البناءة الإنشائية التي سنقوم بها في البلاد، لأن المغرب مقبل على ثورة لمصلحة الديمقراطية والانتخابات. ومنذ سنتين وأنا أردد أن المغرب مقبل على

ثورة. ومنذ سنتين ونحن ننتظر هذه الثورة ولم نرها بعد. لماذا ؟ لأن يد الله مع الجماعة. ولأن الجماعة لم تأت لحد الآن. بحيث إذا أردنا أن تتم الثورة فيجب أن لا تكون ثورة مخ واحد أو عشرين دماغ فقط بل لابد أن تكون ثورة عشرة ملايين أدمغة ثورة ناتجة عن تفكير جماعي. ومناقشة جماعية ناتجة عن تبادل الرأي بين كل المغاربة. وعلى شرط كذلك أن تكون ثورة منظمة، لها برنامج، ولها أهداف.

ويوم نعرف إلى أي مدى نريد أن نصل نعرف اذذاك الوسائل.

أي أهداف نريد أن نصل إليها ؟

ما هي الأهداف التي سترمي إليها سياسة المغرب في المستقبل ؟ لا من الناحية الاجتماعية ولا من الناحية الاقتصادية، ولا من الناحية الخارجية.

ما هي سياسة وأهداف المغرب في المستقبل، حتى نتمكن من أن نضع لها البرامج. وسيمكن لكل مغربي ديمقراطي مفكر شهم مؤمن بوطنه، مخلص في عقيدته أن يضع برنامجا سواء كان منتخِباً أو منتخَباً. ماهي إذن أهداف المغرب في المستقبل ؟ قبل كل شيء، ربما أن هذه المحاضرة موجهة إليكم ولمن يستمعون إليها عبر الاذاعة، أريد أن تعلموا أني اتحدث معكم بصفتي الحسن بن محمد. وليس بصفتي الأمير مولاي الحسن بحيث لا أشارك نهائيا في مسؤولية الحكومة. أنا بصفتي شاباً مغربياً أعيش في جو ديمقراطي. اللهم الا اذا قطعت الاذاعة عني التسجيل يمكن اذذاك أن اقول ما أشاء. لأن الرقابة ارتفعت منذ زمان.

ما سأقوله لكم هو تفكيري الشخصي، يمكن أو لا يمكن أن اتفق معكم، ولا مع المسؤولين في الدولة ولكن كيفما كان الحال، وهذه هي ضمانته فهو صادر من قلب مؤمن صادق في وطنيته واعتقاده:

فمهما يكن كل مغربي وطنياً مؤمناً بقضية وطنه، ومعتقداً في المغرب إلا وله الحق في أن يقول ماأراد، لأن ما يقوله ناتج عن حسن النية، يمكن للإنسان أن يخطأ ولكنه لا يكون هداماً. في هذه الحالة هناك ميادين ثلاثة :

السياسة الخارجية السياسة الاقتصادية والسياسة الاجتماعية. واذا نظرنا إلى جغرافية المغرب. نجده في مفترق الطرق. فهو ممر دول، وممر ديانات، وممر لمدنيات ولتيارات فكرية وفلسفية ابتدأت في أيام الفنيقيين، ولن نرجع لدرس التاريخ نهائياً ولكن بعض (الأسس فقط) ابتدأت مع الفينيقيين، وتلاها الرومانيون ولكن قبل كل شيء مر القرطاجنيون من المغرب عندما عزم حنَّبْعل على هزم الرومانيين. لقد جاء الرومانيون واستعمروا المغرب ومعهم حضاراتهم، أتوا بلغتهم ومراكزهم التجارية، والرومان أيضا اتوا بالخصوص بعساكرهم واستنتجوا من المغرب خيراته كالزيتون والعنب والقمح.

ومن بعد الرومانيين أتى الوندال من ألمانيا عبر فرنسا واخترقوا اسبانيا ومروا عبر بوغاز جبل طارق، إلى المغرب فالجزائر، فتونس، فلهذا نرى في بعض الأماكن في المغرب أن بعض البرابرة في الجبال لونهم أشقر وعيونهم زرقاء.

ومن بعد الوندال جاء الاسلام، واستقر في البلاد، وأنا شخصيا عندي نظرية في هذا الموضوع لماذا استقر الاسلام في البلاد، وهو شيء لم يتحقق للديانات الأخرى ؟ لأن الاسلام أتى بشيء كان سكان المغرب البربر اذذاك في حاجة إليه. لأن البربر أحرار ويسمون أنفسهم الأمازيغ أي الأحرار.

عندما جاء الرومان ليتخذ منهم عساكر .لم يقبلوا ولما جاء الوندال رفضوهم. ولكن جاء الاسلام وفتح لهم المجال لأفكارهم، ولشجاعتهم ولمطامحهم اذذاك اعتنقوا ديانة الاسلام، لأن الفتح الاسلامي، — وليس الغزو — كان فتحا لأنفسهم. كأنك أتيت بشخص لم يكن يعرف نفسه وعرفته بنفسه.

الاسلام هو الذي أفهم البرابرة للبرابرة أنفسهم ولهذا اعتنقوا الديانة الاسلامية وبقي الاسلام في البلاد المغربية.

هذا من ناحية الأجناس.

لنر من ناحية اللغات، جاءت اللغة الفنيقية، واللغة الرومانية بالطبع، ومن بعد جاءت اللغة العربية وهذه لم تأت وحدها. أتت اللغة العربية بكل مالها

من آثار في الفلسفة والتاريخ. وفي الفقه الاسلامي، وفي الفنون. وبكل مالها أيضا من تراجم لفلاسفة اليونان. وكان فضل المغرب على الغرب لأنه كان وسيطا لكي يتم التعريف بأفلاطون. وسقراط. وأرسطو ؛ فضل المغاربة على الغرب هو أنهم هم الذين ترجموا للدول الغربية جميع الأسس التي بنت عليها ثورتها، إن بلاداً مثل هذه اختلطت فيها الأجناس واللغات والفنون ومذاهب الفلسفة. ومذاهب الفكر، وطرق التفكير كان من الأكيد أن تكون لها وضعية وشخصية متميزتان والدليل على هذا هو أن المغرب سمي المغرب الأقصى من لدن مسلمي الشرق. فالاسلام هو ديانة واحدة.

لكن إذا أردنا أن ننظر في تاريخ الاسلام وتاريخ الاعتقادات الدينية نرى أن الاسلام في الشرق ليس هو الاسلام في المغرب. فالاسلام في المغرب كان دائما اسلاماً يغر متصلب، غير جامد، ثابت البنيان، لا يوجد فيه طرز الشافعي مثلا أو المنطق الهائل لأبي حنيفة، ولا الصناعة الفقهية لابن حنبل. لا نجد فيه إلا المذهب الصلب، النقي، للامام مالك لا زيادة فيه ولا نقصان. وهناك أيضا ميزة حتى في المساجد فأكبر مسجد مزخرف في المغرب هو مثلا القرويين. لانجد فيه العشر من البذخ الفني الذي نجده في بعض المساجد في بلاد الشرق.

بحيث حتى من ناحية الاسلام، كان المغرب يمتاز على الدول الأخرى. لأن هذه البلاد كانت لها دائما شخصية، والدليل على هذا أنه لغاية القرن الحالي والمغرب مستقل ؛ فقد وصل الأتراك إلى وجدة ولم يتغلبوا عليه أما الفاطميون فنحن الذين أوصلناهم إلى تونس، الموحدون حكموا من الدار البيضاء إلى طرابلس ومن تنبكتو إلى اشبيليا.

بحيث في ناحية شمال افريقيا كلها لا يوجد مكان لا تجد فيه أثر المغرب بل حتى في فرنسا وفي ناربون، تجد الصوامع غير دائرية ولكن مربعة.

فبلاد لها مثل هذه الشخصية لها الحق أن تكون لها سياسة خارجية ممتازة مستمدة بالخصوص من تاريخه المجيد. السياسة الطبيعية للمغرب في الماضي كانت قائمة على أنه واسطة وصل بين شرق وغرب، لم يكن ممراً باردأمثل انبوب يمر

عبره الماء من صهريج لآخر لا المغرب له طابع وصبغة، وشخصية، الفلسفة العربية نقلها المغرب حقيقة للغرب ولكنه طبعها بالطابع المغربي.

والمغرب نقل الحضارة العربية للغرب، ولكنه طبعها بالطابع المغربي.

بحيث كان المغرب واسطة بين الشرق والغرب لها أثر فعال من الناحية الجغرافية ومع الأسف نلاحظ اليوم أن العالم الذي كان ينقسم إلى دول وإلى قارات، انقسم اليوم إلى قسمين. القسم الغربي، والقسم الشرقي وهذا عنصر جديد طرأ على السياسة العالمية وإذا أرادت الدولة أن تتحدث عن سياستها الخارجية وجب عليها أن تنطلق من انتسابها إلى كتلة من الكتل.

فالعالم اليوم منقسم الى كتلتين. وإذا كنتم تستمعون إلى الموسيقى الحزينة الكلاسيكية، فانني على يقين ان اقرب الموسيقيين الكلاسيكيين الى ذوقكم هو تشايكوفسكي. ورمسكو كورساكوف، لماذا ؟ لأنهما موسيقيان روسيان والروس، والتتار، والتتار والفرس، والفرس والعرب والعرب هم بغداد وبغداد هي المغرب والمغرب هو بغداد. وبكل أسف نلاحظ انقسام الكتلتين ؛ لأن المغرب له ما يربطه من الناحية الشرقية، فالمتشرقون نجدهم اليوم في روسيا، وسكانها لهم بعض التقاليد مثل لباس القفطان الذي انتقل إليهم من أفغانستان.

وإنني على يقين اليوم أن كل مغربي شاب يريد أن يختار المغرب في سياسته الخارجية، خاصة وأننا وصلنا إلى طور فلسفة الاختيار هل من هنا أو من هناك. فاذا لم نختر، أخاف أن لا نفرض شخصيتنا ونظل على الوضع الذي توجد عليه الدول الصغيرة. وإليكم المثال.

لما كنا صغاراً وكنا نلعب الكرة ونحن في سن 15 سنة ويأتي أحد الأولاد ويطلب أن يلعب معنا. فنجيبه العب هنا ولكن نتخذ له موقع اللعب. أنا شخصيا أفضل أن يختار المغرب سياسته، واختياره هذا لن يكون معاداة، أبدا ولكن على الأقل سيكون توجيها. وسنعرف إلى أين نتجه، وتوجيه المغرب لا يمكن أن يتم إلا بمقتضى سياسته الخارجية القديمة وانطلاقا من ديانته. ومبادىء دولته، ومبادىء حكمته.



لا أريد أن أطيل في ميدان السياسة الخارجية. لأن وزير الخارجية متغيب اليوم، ولا اريد أن أحرج موقفه، اللهم إلا اذا كان هنا من يريد أن أطرق ناحية خاصة في السياسة الخارجية واعطي نظري فيها بكل حرية.

الناحية الاقتصادية : يظهر لي، أنه لا حاجة بنا للحديث عنها اليوم. لأن اليوم لم يبق الاقتصاد. فكرة الاقتصاد هي اليوم فكرة المجتمع. كان الاقتصاد ابان الماترياليزم كما يقول الأوروبيون ذلك النظام البارد الجاف. كان في أوائل القرن العشرين لما ظهرت المواد وخيرات أمريكا. وبدأ العالم يستعمل الآلات الميكانيكية بدأت الانتاجات في المعامل وظهرت رؤوس الأموال والبذخ والميكانيك والميكانيزم كل هذا كان حقيقة اقتصادا ولكن اليوم يمكن لنا أن نقول لم يبق الاقتصاد بمفهومه القديم الاقتصاد اليوم هو الاجتماع، هو الناحية الاجتماعية لماذا نريد أن يكون المغرب متوفراً على اقتصاد زاهر ؟ هل فقط ليبيع ويشتري مع الدول ؟ من الضروري أن يكون اقتصادنا مزدهراً. وانتاجنا الصناعي مزدهراً، نقول اليوم نريد أن تكون عندنا عملة مغربية. ولكن عندما يطبع البنك أو خزينة الدولة ألف فرنك على الورق معناها أن لديها مقابل الألف فرنك ذهبا. ومن أين سنشتري الذهب الذي لا يوجد عندنا وبماذا سنشتريه ؟ يجب أن نشتريه بشيء غير الأوراق، بمنتوجاتنا بسيارات نصنعها أو أجهزة نقوم بتركيبها. أو سينما نرسلها إلى الخارج. أو نظارات نبيعها أو أدوية أو نوع من البنيسلين اخترعناه لنبيعه في الخارج اذذاك يمكن لنا أن نقايض انتاجنا الصناعي بالذهب أو بعملة تساوي الذهب فيمكن لنا عندئذ أن نصك الفرنك المغربي ويمكن للدولة عندما تعطي ألف فرنك أو أنت الذي في جيبك عشرة ألف فرنك. ان أن تعرف أن هذه الأموال، مضمونة بقدر من الذهب في خزينة الدولة.

من الضروري إذن أن يكون للمغرب اقتصاد زاهر، وتكون له كذلك صناعة زاهرة، حتى يمكن له أن تكون له عملة، وأن يكون ذا كلمة مسموعة عند الدول فتوجه الانسان إلى الاقتصاد بدون تصفية المشاكل الاجتماعية سيخلق عدم توازن في البلاد تجعله يتعرض لجميع المصائب ثم لماذا أنا أريد شخصيا أن يكون الاقتصاد في المغرب مزدهراً

أولا : لنحتل مكانتنا من الناحية الاقتصادية وثانيا. لتحرير سياستنا الخارجية. لأننا ما دمنا مرهونين من الناحية الاقتصادية، والسياسة الخارجية فلا يمكن تحرير انفسنا من الناحية الخارجية إن تحرير أنفسنا من الناحية الاقتصادية يعني أننا سنسطر السياسة التي نختارها مع الدول التي نريد التعامل معها. واليوم وقبل كل شيء. يوجد شيء من الخلط في أذهان الشباب. يقولون لا يوجد عندنا برنامج في السياسة الخارجية. بالطبع لا يوجد عندنا، اذ لازالت هناك عوامل تضغط علينا من الناحية الاقتصادية، مثلا، لا نستطيع أن نقيم علاقة خارجية مع فرنسا كما نريد، لأننا لازلنا في حاجة إلى معوناتها. ولا مع اسبانيا حيث مازالت عملتها تتداول في الشمال.

أول خطوة يجب تحقيقها هي تحرير تلك الناحية من العملة الأجنبية حتى نستطيع ازاء اسبانيا أن نكون أحرارا في دائرة الصداقة.

فالازدهار الاقتصادي له لحد الآن مبرران، المبرر الأول، وهو اعطاء المغرب عملة واقتصاداً ومكانة في الأوساط الاقتصادية.

وثانيا يقصد من ورائه تحرير السياسة الخارجية للمغرب.

ثالثا : يجب أن يكون اقتصاد المغرب مزدهرا حتى يتسنى بناء مجتمع مغربي قوي.

فكلما ارتفع اقتصاد البلاد إلا وارتفع مستوى سكانها، وكلما بني معمل إلا وشغل عمالا، وكلما اشتغل العمال إلا وتدفق المال في جيوب أولئك العملة ويصبح أبناؤهم في رغد من العيش ومطمئنين على مصيرهم، ويتوجهون غدا إلى المدارس.

بحيث في نظري السياسة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب شيء لا يتجزأ، ولكن الجانب الأكبر من الناحية الاقتصاد هو الناحية الاجتماعية.

على هذا الأساس وبهذه الطريقة سنتمكن من رفع المستوى الاجتماعي للبلاد.

لقد طرقنا بكيفية عامة موضوعين :

موضوع الانتخابات والديمقراطية وقلنا ماهي الانتخابات والديمقراطية في دولة منظمة وما هي مميزات الدولة المنظمة، والقانون الدولي والدستوري والاداري.

وما هي الانتخابات التي يريدها الملك للمغرب وما هو موضوعها، وقلنا بأن الديمقراطية يمكن تحقيقها بدون انتخابات وهو الشيء الواقع في المغرب. ولكن لا يمكن أن تكون انتخابات بدون ديمقراطية. اللهم في بعض الدول، وقلنا كيف تتطور تلك الديمقراطية عن حسن نية لتصبح ديكتاتورية وقلنا ماهو الشيء الذي علينا أن نسعى وراءه فيما يخص هذه الديمقراطية وهذه الانتخابات، وعلى ضرورة توفر كل مغربي منتخب أو منتخب على برنامج، اما ليلزم به منتخبيه أو يلزم به نفسه اذا انتخب. وهذا البرنامج يجب أن يكون مبنيا على أسس. وعلى كل مغربي أن يعرف ماهو اتجاه السياسة الخارجية والسياسة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب.

ما هي السياسة الخارجية للمغرب ؟

السياسية الخارجية مستمدة من التاريخ، لأن المغرب كان ممراً لأجناس ولديانات ولمدنيات مختلفة، ومستمدة كذلك من كون العالم اليوم يوجد بين كتلتين، الشيء الذي يوجب على أي دولة فتية أن تختار، واختيارها ليس معناه، المعاداة لطائفة دون طائفة أو لكتلة دون كتلة، ولكن هو توجيه واتجاه وقلنا كذلك من جملة البرنامج التكميلي هو الناحية الاقتصادية التي ينبغي أن تكون مبنية على محركات ثلاثة.

1) تحرير المغرب من الناحية الاقتصادية

2) اقتصاد زاهر لتحرير الخارجية المغربية حتى يمكنه أن يعمل ماشاء في سياسته الخارجية.

3) رفع مستوى الاقتصاد المغربي حتى يتسنى بذلك رفع المستوى المغربي،

في نطاق الثورة التي نسعى جميعا وراءها ما هو الموضوع الذي تريدون طرقه من بين المواضيع المطروحة. هل الشباب أم الجيش أم ماذا ؟

الجيش .

الجيش والسياسة الخارجية هما من مظاهر الدولة المستقلة، فلهذا كان من واجب المغرب، وهو الشيء الذي فكر فيه جلالة الملك عندما استقلت بلادنا أن تكون له تلك المميزات للاستقلال والسيادة وهي مميزات الجيش، والسياسة الخارجية وقرر سيدنا نصره الله اذذاك مع حكومته إنشاء جيش. فتكون الجيش الملكي، وبلغ عدده إلى ثلاثين ألف جندي وهو جيش منظم وأعتقد شخصيا أن هذا العدد كثير. لأن ذلك يتطلب من الدولة مالا كثيراً فالنفقات التي تصرف على جندي واحد سنويا فيما يخص مأكله ومشربه وأجهزته وأجرته تبلغ مليون فرنك في السنة وهذا القدر هو المعروف أيضا في كل دولة. مليون تضرب في 30 ألف تساوي 30 مليار. بالعكس اذا كان هناك تجنيد إجباري وأخذنا مثلا 15 ألف في الجيش و15 ألف الأخرى جندناها اجباريا سيمكننا اذذاك بالنسبة للشبان المغاربة الذين سيؤدون التجنيد الاجباري لمدة سنة أو سنة ونصف أو سنتين من أن نعاملهم كسائر الدول سنؤدي لهم أجرتهم وإن كلفتهم لن تكون مرتفعة.

لكن يجب علينا أن نعرف أولا، هل نفسية الشبان المغاربة مستعدة لهذا أم لا. لا أعتقد أنها مستعدة. فنحن الذين مثلا نتوفر على تعليم عالي وأقولها بصراحة لا نريد أن نخرج من المدن. نحن مدنيون والتجنيد المدني لا نقبله. فعندما نبحث عن الأطباء لا نجدهم، وعندما نريد إرسال مهندس فلاحي خارج تازة بثلاثين كيلمتر يقول لا فنضطر عندئذ أن نرسل في محله أجنبيا.

لقد شاهدت مع والدي يوم زار تيزي اوسلي واكنول في ناحية تازة بعض الفرنسيين يعيشون هناك لا يحيط بهم شيء فلا سينما ولا خزانة كتب، ولا أماكن للفسحة وفي المواد الغذائية لا يقتاتون إلا مرة في الأسبوع ومع ذلك قاموا بأعمال في الحقيقة ، ما هو الجيش ؟

إنني أقول للضباط المغاربة أنا قبل كل شيء مغربي معكم وقد اقتضت الظروف أن أكون معكم، فلا تنتظرون أن أفضل ثلاثين ألف على عشرة ملايين. يستحيل ذلك ويوم أحس بأن العشرة ملايين ضد الثلاثين ألف أو الثلاثين ألف ضد العشرة ملايين فسأكون مع العشرة ملايين. لماذا ؟ لأن المغاربة ينظرون إلى الجيش بالفكرة السائدة في البلدان العربية بالشرق الأوسط، الجيش الذي يقوم بأدوار لا تهمه ولا علاقة له بها. فهو يقوم — وهذه هي الحقيقة — بالسياسة. يعضد هذا، وغدا يبعد هذا ويفسد العلاقات بين الدول وهذه التصرفات هي التي تبقى راسخة في الأذهان. وبالعكس من ذلك فلا يوجد أي شيء من هذا القبيل بالنسبة لجيوش الدول الأوربية.

فالجيش له مهمتان :

1 — الدفاع عن حوزة البلاد إذا ما تعرضت للخطر.

2 — المشاركة في بناء صرح المغرب أيام السلم وتكوين مدرسة للرجولة وللإرادة والعزيمة القوية للشبان الذين ينخرطون في الجيش أثناء التجنيد الإجباري.

وإذ ذاك، سيكون الجيش المغربي قد قام بواجبه.

وهذا كل ما يمكن لي أن أقوله عن الجيش بكيفية عامة.

سألتم قبل قليل هل توجد عندنا مدارس تعلم بالعربية. بالطبع إنها موجودة وكنا قد انشأناها لأول مرة من أجل الشباب الذين جاءوا من جيش التحرير وكان الكثيرون منهم لا يتقنون الفرنسية، فأخذناهم إلى مدارس أسميناها — رباط مولاي رشيد — بابن سليمان وجميع الدروس ألقيت بالعربية. لا من ناحية الأسلحة، ولا من ناحية المواصلات السلكية، ولا من ناحية الطبوغرافية، ولا من ناحية الحساب، ولا من ناحية الجغرافية، ولا من ناحية التاريخ. كل هذا ترجمناه لأن عندنا بعض الضباط الذين تخرجوا من الكلية العسكرية في العراق تلقوا دروسهم كلها بالعربية. جمعناهم في مكتب وطلبنا منهم أن يترجموا لنا جميع كتب الفرنسية التي تدرس في الكليات العسكرية وسيمكن لنا — ولله

الحمد — خلال السنتين المقبلتين أن ندرس جميع المواد بالعربية. وهذا لم يمنعنا من ارسال بعثات عسكرية للخارج للتعلم بلغات أجنبية ليكونوا ملحقين عسكريين. وحتى يمكن لنا التوفر على ضباط قادرين على التكوين في معاهد أركان حرب أجنبية لامتلاك المعلومات التقنية التي لا نتوفر عليها.

كما أنني متفق تماما مع تعريب التعليم في المغرب، ومغربة الادارة. ولكن رغم تعريب التعليم لابد لنا من ارسال بعثات إلى الخارج، لأن العلم كالعائلة، اذا كان أفرادها لا يتزوجون إلا من محيط العائلة فلن تمر مائة سنة حتى تجد في ثلاثة أجيال الشاب المريض والشاب الضعيف البنية. وبالعكس فكلما اتيت بدم جديد إلا ويتقوى.

والتعليم هو هذا والمعلومات هذه هي فلابد من جلب المعلومات من الخارج للتلقيح. والتلقيح في التعليم ضروري شأنه في ذلك شأن الشجرة فتلقيح الشجرة، هو الذي يقويها ويكسبها مناعة.

وهناك مواد تلقن بالعربية في الكلية العسكرية بالدار البيضاء لكن في الحقيقة أقول لكم مثلا، عندما نريد إعطاء دروس في الوقاية من القنبلة الذرية، يستحيل أن نعطيها بالعربية. اللهم إلا اذا استقدمنا اختصاصيين في هذا المجال من البلاد العربية. أو مثلا اذا تعلموا الاليكترونيك، أو الرادار فهذه أشياء لا نتوفر عليها حاليا.

فلهذا يجب علينا أن نرسل أكثر ما يمكن من البعثات للخارج، ويمكن لي أن أقول لكم أننا قررنا أن نختار في أكتوبر إن شاء الله الحاصلين على الجائزة الأولى في الدار البيضاء، والرباط، ومكناس، ومراكش، وفاس، ووجدة، وسيرسلهم الجيش على نفقته لمعاهد البوليتيكنيك وسنسير على هذه الطريقة كل سنة. والذين سيتخرجون من البوليتكنيك ويتوفرون على العربية هم الذين سنستخدمهم لتكوين الاطارات وتعريب التعليم. وأثناء الحوار المباشر الذي جرى بعد ذلك بين الشبان الحاضرين وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن، طلب سموه من الطلبة الذين تابعوا دروسهم في نطاق التعليم الحر ولغتهم الفرنسية

ضعيفة أن يكاتبوا سموه. لأنه سيحاول تنظيم تدريب لهم مركز على المواد التي يشعرون فيها بضعف بين وذلك حتى يتمكن من ارسالهم الى فرنسا أو اسبانيا على أن يكون مستواهم الباكالوريا. كما اقترح سموه الاهتمام بمشكلة طلبة القرويين وابن يوسف وكل المعاهد الدينية الأخرى ورد الأمير مولاي الحسن بعد ذلك على مختلف الأسئلة المطروحة وقال :

التكتلات

نلاحظ أن بعض الدول التي انحازت لبعض الكتل بقيت ضعيفة. ولا أريد أن أعطي بعض الأمثلة حتى لا أجرح شعور عاطفة بعض الدول التي تستمع إلى هذه المحاضرة. ولكن بعض الدول الصغيرة في أوربا انخرطت في الحلف الأطلسي. فقد اختارت الكتلة الغربية. ولكنها دخلت صغيرة وبقيت صغيرة.

أنا في نظري إذا أراد المغرب أن يدخل في كتلة يجب عليه أن يتقوى بجيرانه في البحر الأبيض المتوسط. يدافع على القضية الجزائرية حتى تنال حلها العادل وحتى تكون بازائه أخت شقيقة ثابتة البنيان والأمن والاستقرار والنظام فيها مستتب. وأن يتفق مع تونس. ويتفق مع اسبانيا، ومع فرنسا ومع ايطاليا. وعندما يتقوى من جميع النواحي يمكنه أن يفرض نفسه على الكتلة الغربية وعلى الكتلة الشرقية. وحتى اذا دخل لاحدى الكتلتين فلن يكون وحيداً بل سيكون معززاً ويدخل كبيراً ويبقى كبيراً. أما اذا دخل وحده فسيبقى وحده، وإذا دخل صغيراً فسيبقى صغيراً.

الجلاء

الجلاء شيء طبيعي، لأنه ما من دولة دولة ذات سيادة واستقلال إلا وتريد أن تكون مستقلة وحرة ولا تريد أن ترى ما يستفزها كتجول الجنود الأجانب في شوارعها أو قيامهم بمهمة الأمن. أو بمهام ليست بمهامهم.

من هذه الناحية الجلاء هو من أسس سياسة جلالة الملك وحكومته. وأنا متفق تمام الاتفاق بصفتي رئيس أركان الحرب على هذه النقطة.



وهناك أيضاً الأحلاف العسكرية وما يترتب عنها في غالب الأحيان من وجود قواعد أجنبية كما هو الشأن بالنسبة لأسبانيا رغم أنها تمتنع عن الدخول في الحلف الأطلسي.

فالمغرب لا يتوفر على قوة عسكرية كافية لصد جميع الهجمات اذا جاءت من الخارج. ولهذا فإنه سيبرم اتفاقيات عسكرية ولكن بطريقة لا تمس سيادة الدولة ولا ترهن السياسة الخارجية ولا سياسته العسكرية أي في نطاق احترام سيادة البلاد.

التوفيق بين التجنيد وحاجة المغرب إلى الاطارات :

كيف يمكن للطلبة الذين يستدعون للتجنيد الاجباري أن يلبوا النداء والحالة أن المغرب في حاجة إلى إطارات.

ننظر أولا إلى نوعية الدراسة التي يتابعها الطالب فإذا كانت تتعلق بالحقوق أو الأدب أي بالشعب غير التقنية، فيمكننا حينئذ أن نفعل ما تفعله الدول الأخرى، وبعد ذلك يتمم الطلبة دراستهم. أما الذين يتابعون التعليم التقني فيؤجل تجنيدهم إلى ما بعد انتهاء الدراسة.

المغرب في أفق الربط القار بين افريقيا وأوربا عبر بوغاز جبل طارق

إن المغرب لا زال يطالب بحدوده الطبيعية وسيطالب بها بواسطة لجنة الحدود التي قرر جلالة الملك وحكومته انشاءها.

ولكن هناك الناحية الاقتصادية ومن الآن يمكن أن ندخل في اشتراك لاستثمار خيرات الصحراء.

فقد ذكرت لكم ما هو مفعول الاقتصاد القوي في المغرب وهو تحرير سياسته الخارجية ورفع مستواه. ويمكن للمغرب من الناحية الاقتصادية أن يبدأ من الآن في استنتاج خيرات الصحراء ولا نترك الآخرين يترامون على حقوقنا أمام أعيننا



هناك موضوع لم تطرحوه علي. وسأشير إليه وأترككم تفكرون فيه. هل تتصورون أنه لو تم استغلال خيرات الصحراء، وفتحنا نفقا تحت بوغاز جبل طارق، كيف سيكون المغرب عندئذ ؟ ألا ترونه جنة على وجه الأرض أم لا. ماهو مخزن المواد بالنسبة لمستقبل أوربا وأمريكا ؟ إنها افريقيا التي اعتقد اعتقادا جازما أن فيها الكثير من الخيرات.

بحيث تصوروا المغرب — وهو من تخوم الصحراء ومن تخوم افريقيا السوداء — تمر عبره إلى الدول الأخرى البترول وجميع المواد التي تحتاجها أوربا بواسطة السكك الحديدية من الجنوب حتى تصل إلى أوربا تحت بوغاز جبل طارق.

فهل تتصورون المغرب كيف سيكون اذذاك ؟ ولو حصلنا على 50 سنتيم فقط على كل طن لكفى من الناحية الاقتصادية أما من الناحية المعنوية فسيكون المغرب أهم من قناة السويس. وكذلك من الناحية الاستراتيجية ومن الناحية الدبلوماسية لأن كلامه سيكون مسموعاً.

ألقيت بالمعمورة — الرباط 1 يوليوز 1957